سرّ التنشئة الرسوليّة
أو
بطولة الثبات في القِيَم

«إتبعوني أجعلكم صيادي بشر»

(متّى ٤/١٨-٢٢، مرقس ١/١٦-٢٠، لوقا ٥/١-١١، يوحنّا ٢١/١-١١)

الدكتور سمير الخوري(٥)

نصّ رواية لوقا (٥/١-١١)

١ - وازدحم الجمع على يسوع يُصغي إلى كلمة الله. وكان يسوع واقفًا على شاطئ بحيرة جِنّاسَرِت.

٢ - فرأى قاربين راسيين عند شاطئها، وقد نزل منهما الصيّادون يغسلون الشّباك.

٣ - وكان أحد القاربين لسمعان، فصعد إليه يسوع، وسأل سمعان أن يتباعد به قليلًا عن البحر، ثمّ جلس يعلّم الجموع من القارب.

٤ - ولمّا فرغ من الكلام، قال لسمعان: تقدَّمْ إلى العمق وألقوا شباككم للصيد.

٥ - قال سمعان: يا معلّم: عيينا الليل كلّه، وما أصبنا شيئًا. ولكنّك قلت، فأنا ألقي الشباك.

---

(٥) باحث وأستاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانيّة. مادّة مقاله محاضرة ألقيت في خلوة «مجموعة التفكير والعمل»، دير مار مارون - عنّايا، ٢٢/٣/١٩٩٧.

٦ - وفعل الصيّادون، وأصابوا سمكًا كثيرًا جدًّا، وأخذت شِباكُهم تتمزّق.
٧ - وأشاروا إلى أصحابهم في القارب الآخر، ليأتوا ويسعفوهم. فأتوا وملأوا القاربين حتّى كادا يغرقان.
٨ - ورأى ذلك سمعان بطرس، فأكبَّ على ركبتَي يسوع وقال: إبتعد عنّي، يا ربّ، فإنّي رجل خاطئ.
٩ - وذاك لأنّ الرهبة اعترته، هو وكلّ مَن معه، لما أصابوا من صيد السمك.
١٠ - وحدث مثل ذلك لابنَي زبدى، يعقوب ويوحنّا، رفيقَي سمعان. قال يسوع لسمعان: لا تَخَفْ، فمنذ الآن تصطاد بشرًا.
١١ - وعاد الصيّادون بالقاربين إلى البحر، وتركوا كلّ شيء، وتبعوا يسوع.

١ - إحداثيّات النصّ الإنجيليّ عند لوقا

١ - ١ - «إمتحان الدخول» في العهد الجديد.

تلتقي مجمل الترجمات البيبليّة حول رسم حدود هذا النصّ الإنجيليّ عند لوقا في الفصل ٥/١-١١، بشكل شبه موحَّد، ولكنّها تختلف حول عنونته، فتبرز في العنوان:

- إمّا مادّيّة المعجزة: صيد السمك العجائبيّ (ترجمة يوسف عون ١٩٧٧).
- إمّا شخصيّة التلاميذ: التلاميذ الأوّلون (ترجمة دار المشرق ١٩٨٩)، التلاميذ الأربعة الأوّلون (ترجمة جامعة الروح القدس - الكسليك ١٩٩٢).
- إمّا دعوة يسوع: يسوع يدعو التلاميذ الأوّلين (ترجمة جمعيّة الكتاب المقدّس ١٩٩٣)، دعوة الرسل الأربعة الأوّلين (الترجمة الأورشليميّة ١٩٦٠).
- إمّا الحدث والأشخاص بأسمائهم: الصيد العجائبيّ، سمعان ويعقوب

ويوحنّا يتبعون يسوع (الترجمة المسكونيّة للبيبليا ١٩٧٩).

إنّها تسميات لعناوين سرديّة، استمدّ المترجمون موادّها من مضمون رواية لوقا، فأبقوا على طابعها الوصفيّ عملًا بأمانتهم لحرفيّة الترجمة، فأشاروا إلى هذا المضمون دون تأويله أو التنظير له. أمّا العنوان المقترح: **التنشئة الرسوليّة** *Initiation apostolique*، فيقوم على تلمّس غائيّة دعوة يسوع الصيّادين الأربعة لاتّباعه كرسلٍ يتلمذهم، فيكونون شهودًا له «صيّادي بشر». يدعم هذا العنوان إخضاع النصّ لمنهجيّة تحليل المضامين، كما تبيّنه شبكة ترابط ديناميّة التنشئة الرسوليّة، بحيث يتحوّل الصيّادون من مشاهدين إلى شهود، ومن متحلّقين حول يسوع إلى رسل باسمه، وينكشف لهم يسوع من مبشّرٍ إلى معلّم (٥/٣)، فإلى ربّ (٥/٨)، ومن رسول إلى رسالة، ومن حامل كلمة الله (٥/١) إلى كونه هو الربّ، هو كلمةُ الله.

١ - ٢ - المعجزات المائيّة في الإنجيل

يذكر الإنجيليّون معجزات ثلاثًا تمّت في إطار مائيّ في بحيرة طبريّة، هي: الصيد الوفير (لوقا ٥/١-١١، يو ٢١/١-٨)، وتسكين العاصفة (متّى ٨/٢٣-٢٧، مر ٤/٣٥-٤١، لو ٨/٢٣-٢٥)، والمشي على الماء (متّى ١٤/٢٢-٣٣، مر ٦/٤٥-٥٢، يو ٦/١٦-٢١). إقتصر الحضور فيها على يسوع (ابن الله وابن الإنسان) والتلاميذ (المؤمنين المعمّدين باسم يسوع)[1]، وهم في القارب (الكنيسة) يواجهون عناصر الطبيعة. إستكمالًا للمعجزات الشفائيّة أو لتلك الاغتذائيّة الهادفة إلى زرع الإيمان أو إلى إحيائه أو إلى إنمائه عند معاصري يسوع، أفرادًا كانوا أو جماعات، تفيد المعجزات المائيّة عن وضعيّة امتحان، يواجه فيها التلاميذ (المؤمنون، الكنيسة..) الصعاب والمآزم والاضطهادات. تهلع قلوبهم خوفًا منها، ويهتزّ إيمانُهم فيشكّون أو ينهزمون، ممّا يستدعي تنبيت

---

(١) البابا يوحنّا بولس الثاني: العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، منشورات المركز الكاثوليكيّ للإعلام، ١٩٨٨، ص ٨٨-١٢٥. راجع خاصّةً الفصل الثالث منه.

Etre
كينونة يسوع
يسوع
صاحب البشرى
صيّاد
الصيّادون
اكتئاب
الجموع
انبهار
حضور يسوع
يسوع يبشّر الجموع من على الشاطئ
ازدحام الجموع
يرى القاربين
يسوع يصعد إلى قارب سمعان
سمعان يستضيف يسوع
يسوع يطلب التباعد بالقارب
سمعان يرافق
يجلس في القارب
يسوع يعلّم الجموع من القارب
الجموع تسمع
يتمّ كلامه
يسوع يسأل: تقدّم إلى العمق + ألقوا الشبكة
سمعان يعترض على المعلّم
يسوع يترقّب الاستجابة
يدرّب التلاميذ
إستجابة الصيّادين
إلقاء الشباك
الصيد الوفير
تعاون الصيّادين
حالة الرعدة
سمعان يعترف بالربّ يسوع
يسوع يعدّ: أجعلك صيّاد الناس
عودة الصيّادين إلى البرّ
ترك كلّ شيء + اتباع يسوع
يقبل التلاميذ
يسوع يدعو، يختار، يُرسِل: إذهبوا علّموا كلّ الأمم...
مشاهدة يسوع
سماع يسوع
ترحيب يسوع
تشكيك يسوع
ثقة يسوع
إتباع يسوع
الشهادة ليسوع
تحلّق حول يسوع
إجتذاب الصيّادين
تنشئة الصيّادين
رسولية الصيّادين
واقف على الشاطئ
مبشّر
معلّم في القارب
جالس في قارب سمعان
مدرّب في العمق
ربّ قائم
في كلّ مكان
يسوع يحمل كلمة الله
هو رسول يحمل الرسالة
يسوع هو كلمة الله
هو الراسل والرسول والرسالة

إيمانهم. لذا يبدّد يسوع خوف تلاميذه (متّى ١٤/٢٧، ٨/٢٦، لو ٥/ ١٠، ٨/٢٥، مر ٤/٤٠، ٦/٥١، يو ٦/٢٠) ويشدّد إيمانهم أو يبكّتهم على قلّته وهزاله (متّى ٨/٢٦، مر ٤/٤١، لو ٨/٢٥). لا بُدّ إذن من التيقُّظ (لو ١٢/٣٥، متّى ٢٥/١٧) وإيقاظ «الإله النائم» في قلوب المؤمنين (يو ٨/٢٥)، أي لا بدّ من الاندفاع بقوّة الإيمان بذاك القائم من الموت، لجبه المحن واقتحام أنواء الشدائد، وترويضها (يو ٦/١٩)، والسير فوق لجيجها (متّى ١٤/٣٠)، دونما تهوّر تعتريّ، أو قصورٍ طفوليّ، أو انكفاء إلى حالة الرضاعة الاتّكاليّة على الغيب وعلى مشتقّاته الشرعيّة، بحجّة الجهالة فالله أعلم، وبحجّة الاستضعاف فالله أكبر، وبحجّة الاستحالة فالله أقدر، وبمسوغ البراءة فالله أعدل.

فيما تحمل المعجزات المائيّة سمات تربويّة واضحة المعالم، تتفرّد رواية لوقا بكونها استقطابيّة الموقع، امتحانيّة المنحى، تشدّد على رابط الثقة بالنفس، بالقِيَم وبمرجعيّة يسوع، ثقة أقرنت الأقوال بعالم الأفعال، فتحوّلت التلاوة النظريّة إلى مثابرة عمليّة. فحيثما سقط الأبوان الأوّلان في امتحان الثقة في جنّة عدن (تك ٣/١٠٧) في بدء التكوين، نجح الصيّادون (لو ٥/٥)، واستقطبهم يسوع تلاميذًا له أوّلين في مبتدأ العهد الجديد، فصاروا آباءً أوّلين بالإيمان.

١ - ٣ - إطار رواية لوقا

أ - الإطار العامّ: يموضع لوقا روايته في بدء بشارة يسوع بالملكوت: إعتمد يسوع وامتلأ من الروح القدس (٣/٣٢، ٤/١) الذي قاده إلى البرّيّة. هناك نجح يسوع في التجارب التي عُرضت له: تجربة التملّك وتسخير قوّته لإشباع جوعه (٤/٣)، وتجربة التوجهن والتشاوف، إذ تحمله الملائكة لئلّا تصطدم بحجر رجلُه (٤/١١)، وتجربة ظفريّة التسلُّط لإشباع الرغبة في السلطة والمال (٤/٧)، وبنفس قوّة الروح (٤/ ١٤) عاد يسوع إلى الجليل، فاختبر الفشل الذريع في الناصرة حيث نشأ (٤/١٦). ثار عليه مواطنوه ودفعوه خارج مدينتهم. تحوّل يسوع إلى

اليهوديّة فأقام عند سمعان، وأخذ يعلّم الجموع ويشفي مرضاهم. فأُعجبوا بتعليمه، وارتبكوا في أمره (٤/ ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٤١) و«حاولوا الإمساك به لئلّا يذهب عنهم» (٤/ ٤٢) جريًا على مألوف شهوانيّة جماهير الفرجة والاندهاش.

وهكذا اختبر يسوع المبدأ الأساسيّ الثنائيّ (Binôme): نجاح/ فشل، ذاك الذي يتحكّم بمنطق الناس، فيما هم بدورهم يحتكمون إليه في أصول عبادتهم مع عالم الآلهة عاموديًّا، وفي أحكام معاملاتهم بعضهم مع بعض أفقيًّا. قرّر يسوع اختيار مَن سيجعلهم شهودَه، صيّادي بشر، إن هم تبعوه ووعوا أبعاد هذا الاختبار القاعديّ، وأدركوا أهمّيّة إسقاطاته في الدّين والدنيا.

ب - زمان الرواية: صباح أحد الأيّام (٥/ ١).

ج - مكان الرواية: في مكان ما، عند بحيرة طبريّة، ما بين مدينة كفرناحوم اليهوديّة، وبلاد الجرسيّين الوثنيّين.

د - مقصد يسوع: إختيار واختبار التلاميذ الأُول (٥/ ١١) وجعلهم، مثلَه، صيّادي بشر.

هـ - الحضور

١ - جموع: تحرّكها الرغبة في الحماية والأمان والاندهاش (٤/ ٤٢)، تزدحم لسماع يسوع (٥/ ١)، وللاستزادة من كلامه ومعجزاته.

٢ - الصيّادون: يهضم الصيّادون فشل صيدهم ليلًا (٥/ ٥) وقد نزلوا إلى الشاطئ يغسلون شباكهم (٥/ ٢)، ممّا يعني أنّ خيبة أملهم لم تؤدِّ بهم إلى قطع الأمل بعد. يبدو أنّ هناك تراتبيّةً لديهم:

فسمعان هو «رئيس» قوارب الصّيد وله شريكان هما الأخوان يوحنّا ويعقوب، لقد سبق لسمعان أن استضاف يسوع في بيته (٤/ ٣٨)، وتسنّى له سماع كلام يسوع، لقد رأى توافد الجموع إليه وشفاءه حماته (٤/ ٣٩)، لذا استضاف يسوع في قاربه (٥/ ٣)، ونزل، مع رفاقه، عند رغبة يسوع

بمعاودة الصيد صباحًا، بعدما أبدى ممانعته كخبير في شؤون الصيد، أظهر الصيّادون جهوزيّة للاعتراف بالربّ، وللتعلّق به واتّباعه.

٣ - يسوع: يبحث عن الناس وعن الصيّادين، ليحوّل هؤلاء خدّامًا للكلمة في خدمة أولئك.

و - التعداد الإحصائيّ: بفضل عمليّة فرز الكلمات الواردة في النصّ (الاسم أو الضمير العائد إليه) وتعداد تكرارتها، تبيّن أنّ عدد المرّات التي ذُكرت فيها، هي على الشكل التالي:

١٥	يسوع.	٧	قارب.
١٢	سمعان.	٤	شِباك.
٦	صيّادو قارب سمعان.	٤	سمك.
٦	صيّادو القارب الآخر.	٥	صيد.
٦	الصيّادون بمجملهم.	٢	جموع.

٢ - «تقدّم إلى العمق والقوا الشبكة للصيد» (لو ٥/ ٤)

كيف يمكن فهم نصّ التنشئة الرسوليّة كما رواه لوقا؟ أيًّا هو الاختبار الذي امتحن يسوعُ به الصيّادين لتطويعهم (recrutement) تلاميذًا له؟ ما الذي يعنينا منه اليوم؟ ماذا يعني لنا اليوم في لبنان وتجاه شعوب الشرق في مواجهة الألف الثالث؟

يمكن استعراض شبكتَي قراءةٍ، تختزل كلتاهما جملة من مطالعات مضامين نصّ لوقا، تتمتّع الأولى بالأسبقيّة، فهي الأكثر رواجًا والأوفر أثرًا عند التجمّعات والتنظيمات التي يطغى عليها الطابع المؤسّسيّ الإداريّ، بحيث يرتاح إليها موظّفو المؤسّسات المدنيّة والدينيّة (مر ٣/ ٦)، «فيؤدلجونها» ويمثّل لها مرؤوسوهم. أمّا الثانية فهي الأضعف انتشارًا والأعمق تأثيرًا، تتبنّاها المجموعات والجماعات التي تنهد (aspirent) نحو الطابع النبويّ، بحيث يعتنقها مَن تضجُّ فيهم قوّة الإيمان، فيجاهرون بها، وبها يلتزمون مع إخوانهم بحرّيّة أبناء الله. هاتان الشبكتان هما:

٢ - ١ - شبكة القراءة القدسيّة Grille de lecture sacrale

٢ - ٢ - شبكة القراءة المسيحيّة Grille de lecture chrétienne.

٢ - ١ - شبكة القراءة القدسيّة

تعتمد شبكة القراءة القدسيّة منطق الإنسان الذي يصوّر علاقته مع عالم الألوهة، على شاكلة ما خبره في يوميّات حياته الاجتماعيّة، يرتاح إلى تنظيم نمط عباداته الدينيّة وفق مألوف نمط معاملاته المدنيّة[٢]، ينسخ أحد النمطين ويسحبه على الآخر، فيبرّر النمطين معًا، لا بل يُقَدْسِنُهُما sacraliser. إنّه منطق الإنسان المتمرّس بالمواقف الأخلاقويّة moralisant ذات المنحى التذنيبيّ culpabilisant. يستعدم الإنسان ذاتَه، قاصرًا صاغرًا، لصالح الله. فالله هو على صورة الإنسان هنا. يستعذب الإنسان شريعة الله، ينقاد لها بذهنيّة أصوليّة حذافيريّة وإطلاقيّة absolutisante، رغبة بالتأثير في الله الأقوى، وطمعًا بنيل رضاه. لذا يُكثر من استعمال أفعل التفضيل وأفعال المبالغة... ويتبرّع للذود عن كرامة صاحب العزّة الإلهيّة، بالاقتضاص ممّن تسوّل له نفسُه «سبّ الدين» أو الخروج على الدين أو الارتداد عنه.. إنّه منطق الإنسان العتيق، رجل الديانة، إنسان ديانة الجماهير، صاحب حاجة وطالب منفعة يسعى إليها في فعاليّة السلوك السحريّ، أو في فاعليّة المسالك الحقوقيّة الشرعيّة.

تلخيص: تلخّص شبكة القراءة القدسيّة روايةَ لوقا على النحو التالي: إجتهد الصيّادون الليل كلّه بجدّيّة، ولم يصطادوا شيئًا. وفي الغداة أتمروا بأمر يسوع. أطاعوه، فأصابوا سمكًا كثيرًا (٥/٦). مانَع سمعان بقوله ليسوع «يا معلّم، عنينا الليل كلّه وما أصبنا شيئًا» (٥/٥)، بسبب تعبه أو كسله أو خجله من أن يظفر نفسه، أمام أصحابه، جاهلًا بأمور الصيد، لا بسبب عصيانه أوامر يسوع. لذا إنصاع سريعًا، لعلمه بعدم جواز انتهاك أوامر الله ونواهيه لأيّ سبب كان. وهكذا نجح سمعان في صيد السمك

---

(٢) VARONE F.:*Ce Dieu absent qui fait problème*, Ed. du Cerf, 1991. Cf. 1er chapitre: Dieu, une projection de l'homme, pp. 13-18.

لأنّه أطاع. وللسبب نفسه خرّ ساجدًا[٣]، معترفًا بقدرة الربّ (٥/ ٨) ومقرًّا بجهالته هو. «فهو رجل خاطئ». تحقّق يسوع من طاعة سمعان، وتثبّت من تنزاله عن ادّعائه المعرفة بأمور الصيد، ولمس صدقَ اعترافه المزدوج، فبادر يسوع وكافأه بقوله: «لا تخف، فمنذ الآن تصطاد بشرًا» (٥/ ١٠). لقد «استحقّ» سمعان هذه المكافأة. مُنذ قدّم طاعته ثمنًا لها، راق الصيّادين تصرُّفُ سمعان، فحذوا حذوَه، لينالوا النصيب نفسَه، لذلك «تركوا كلّ شيء وتبعوا يسوع» (٥/ ١١). رفعهم يسوع إلى مصاف الرسل (متّى ١٠/ ١-٤، مر ٣/ ١٣-١٩). أمّا سمعان، فميّزه عنهم، بأن رقّاه إلى أعلى المراتب في الكنيسة (يو ٢١/ ١٥-٢٠، متّى ١٦/ ١٧-٢٠)، ذاك لأنّ بطرس كان سبّاقًا في الانقياد لسؤال يسوع، سريعًا في الاعتراف به، مستعجلًا اتّباعَه...

من السهل التوقّع كيف أنّ الخطاب الدينيّ (أيًّا كان انتماء الخطيب المذهبيّ أو السياسيّ)، الممهور بشبكة القراءة القدسيّة هذه، ينزع إلى تأنيب الناس لعدم استسلامهم، بما فيه الكفاية، لشرائع الله ولسنن كُتبه المقدّسة، بل يجنح إلى تذنيبهم برفضيّاتهم، وتبكيتهم على اعتراضاتهم، وتكفيرهم بها. يستطيب تجريمَهم ساديًّا بمصائب تصيبهم، فيسارع إلى نسبتها إلى العدالة الإلهيّة. فلكونهم ابتعدوا عن الله وأعرضوا عن هَدْيه، إبتعد الله عنهم وأسلمهم لنزواتٍ يستهلكونها فتهلكهم[٤]... إنّ ما يُقال عن هذا النوع من الخطابات السارية على المستوى الدينيّ، يُقال فيها جاريةً، بمضمون سياسيّ، على المستوى المدنيّ. قوام هذه المطالعة المعمَّمة هو أنّ الفشل نصيبٌ محتومٌ لكلّ إنسانٍ شاء الاتّكال على نفسه والاعتماد على قواه للنظر في حقيقة الأمر، وللسيطرة على عالمه وتنظيم أموره وعقلنة تعامله، وإدارة شؤونه والتدرّج في سلّم القِيَم بمنطق خبراته... أمّا النجاح، فهو مكافأة مضمونة لمَن يتّكل على الله، وبكل

---

(٣) OTTO R.: *Le Sacré*, Ed. Payot, 1969. Voir pp. 27-41: Mysterium Tremendum.

(٤) VARONE F.: *Ce Dieu censé aimer la souffrance*, Ed. du Cerf, 1981, p. 16 ss.

إليه كلّ أمر، وكلّ تنظيم وتدبير في دينه وفي دنياه، يتقيّد بأوامر الله ويتّبع وصاياه. فإن أعرض الإنسان عن سُنّة الله وزاغ عنها، أعاد إنتاجَ سقطة آدم نفسها، كما صوّرها الكاتبُ الملهم في جنّة عدن (تك ٣/ ١-٢٤). وفي حال كانت شرائع الحاكم، ظلّ الله على الأرض، هي المنتهَكة، فالويل لمَن يُتّهم بانتهاكها...

أ - وقع القراءة القدسيّة على المستوى الدينيّ: منطق الديانة

يمكن تلمّسُ وقعِ القراءة على المستوى الدينيّ، عبر صور محوريّة، ومفاهيم أساسيّة conceptions، يفرزها منطق الديانة، ويصوغها بقوالب الأفاهيم concepts والتعابير الدينيّة والفقهيّة، تمهيدًا لرصفها كمداميك قاعديّة، بها يرفع بنيان الديانة، ومنها:

١ - صورة الله: الله هنا هو الأكبر الأقدر، الأقوى، إنّه على كلّ شيء قدير، هو العارف الجبّار. إنّه العالم الأعلم، لا يخفاه شيء. يدير، ويدير كلّ شيء. هو الديّان والمشترع الأعظم، إنّه سيّد الأحداث مسؤول عنها وحده...

٢ - صورة الإنسان: يبدو الإنسان هنا أنّه قاصر، جاهل، ضعيف، سخيف، غشيم، إنّه مغرور متكبّر مدّعٍ، يدفعه جهله وغروره إلى ارتكاب الحماقات...

٣ - صورة العلاقة: ما دام الله يفوق الإنسان بدرجات في المعرفة والقدرة، فالإنسان صغير والله أكبر، الإنسان قادر عالم.. أمّا الله فهو الأقدر والأعلم... فالله يتفوّق على الإنسان، ولكنّه ليس مغايرًا عنه. لذلك، أصبح من الطبيعيّ أن يطيع الإنسان الله ويستسلم له، وينقاد إليه وينصاع لأوامره، كما ينصاع الأصغر إلى الأكبر في الواقع الاجتماعيّ فلا يتحصر بباله التشكيك بأيّ من معارف هذا الأكبر. بل ولا يسمح لنفسه بمثل هذه المخاطرة الخطرة لئلّا يُعاق بها... تكمن خطيئة الإنسان الكبرى في ذاكرته. إنّه عرضة للنسيان، لذلك وجب أن يكون هناك مَن يذكّره بواجباته وبشرائع الله.

٤ - النجاح/ الفشل هو المقياس التطبيقيّ: يصيب الإنسان نجاحًا مظفرًا بمقدار طاعته لله ويُصاب بالفشل الذريع إن هو تناسى الله أو تمرّد عليه. لذا أصاب التلاميذ صيدًا وفيرًا لمجرّد «سماعهم كلمة» يسوع. فلكون الله يسود على كلّ شيء وبيده كلّ شيء، فما على الإنسان سوى تنفيذ أوامر الله، حتّى يحوّل اللهُ الأحداث تلقائيًّا لصالح الإنسان. فإن أدّى الإنسان لله ما عليه، كافأه الله فطبّع الخيرات لخدمته. أمّا إذا أصيبَ الإنسان بالفشل (بالمرض، بالفقر، بالفاقة...)، فمعنى ذلك أنّه عصى أوامر الله، فاقتصّ الله منه بحرمانه هذا أو ذاك من الأمور. وهكذا يصبح النجاح مقياسًا لطهر الفضيلة، كما يصبح الفشل دلالةً على عهر الرذيلة[٥]. وهكذا أيضًا يصبح بإمكان الأغنياء والأصحّاء والأقوياء الاعتداد «بقداستهم» وتعيير البؤساء والسقماء والضعفاء «بنجاساتهم»... وعليه، فالشعوب المقهورة تُعتبر بالضرورة خاطئة ورجسة، والبلدان المحتلّة بلدانًا مذنبة، والدول المغلوبة على أمرها دولًا كافرةً خسيسة....

٥ - عبرة التعامل النموذجيّ: يرفد وقع القراءة القدسيّة بصورة الأربع، إلى عبرة مفادها:

+ رأس الحكمة إرضاء الله، وهي مقولة يتقنها أصحاب التصرّفات الدينيّة، ذات الطابع الحقوقيّ[٦] الحسابيّ، التجاريّ...
+ رأس الحكمة استعطاف الله، وهو مذنب يتفنّن في ابتكار وسائل إشباعه أصحابُ الممارسات الدينيّة، ذات الطابع السحريّ - الشرائعيّ، التطيُّريّ والاستعطائيّ.
+ رأس الحكمة خوف الله، وهي أطروحة يتحصّن فيها أصحاب

---

(٥) DANIELOU J.: *Dieu et nous*, Ed. Livre de Vie, 1960, p. 118.
راجع أيضًا: معجم اللاهوت الكتابيّ، دار المشرق، ١٩٩١، الأقاليم التالية: عدل، اختيار، أناة، انتقام، تكفير، تربية، ثقة، راع، سهر، شهادة، طاعة، عاصفة، عقاب كنيسة، ماء، مخافة الله، معجزة.

(٦) CARRIER H., PIN E.: *Essai de sociologie religieuse*, Ed. S.P.E.S., 1970, pp. 105-119.

السلوكات الدينيّة، ذات الطابع التبعيّ الانسحاقيّ والاحتمائيّ...

ب – إنعكاسات القراءة القدسيّة على المستوى المدنيّ: منطق الطغيان

للقراءة القدسيّة انعكاس مباشر على المستوى المدنيّ، تصيب مفاعيلُه مفاصل العلاقات الاجتماعيّة القائمة بين الأفراد والجماعات، بمقدار ما يستوجب الانتظام العامّ إحاطة نظام المؤسّسة الاجتماعيّة (أسرة، قبيلة، مدينة، دولة...) بهالة احترامية، تجعله بمنأىً عن خفّة المساس به. يُحرِّم حكم الطغيان تعديل النظام، فيما يسمح به الحكم الديمقراطيّ[٧]، بل ويحثّ عليه وفق آليّة يشرِّع لها.

١ – قدسيّة الشريعة: تُعتبر الشريعة بكلّ دقائقها قدسيّة، لا تُمسّ. فالإنسان وُجد للسبت لا العكس. تمامًا كما القانون هو الذي يحدّد الحرّيّة هنا، ويحدّ منها، لا العكس.

٢ – «تأليه» صاحب السلطة: يُعتبر صاحب السلطة شخصيّة قدسيّة، لا يصحّ التقرُّب منه دون خَفَر، ولا مكالمته دون وجل. والمقولة إيّاها تصحّ في السلطة السياسيّة كما المنزليّة والمدرسيّة... «منذ القديم، والشرق يعيد إنتاج الصراعات باسم الآلهة وفي سبيلها، أكانت تلك آلهة في السماء، أم شرائع وإيديولوجيّات، أم بشرًا أو زعماء، اتّخذوا طابعًا قدسيًّا، فألّهوا ذواتهم أو ألّههم أزلامُهم. وها هي هذه الآلهة تدفع أتباعها إلى قتال وقتل باسمها وفي سبيلها. تميت الناس بالحرف أو بالسيف، ظنًّا أنّ هذا النوع من القتال يبقي لها مقاماتها، فيبقيها آلهةً ويبقى أتباعها تابعين آدميّين. رفض يسوع هذا القتال الأخرق، كسر حلقته المفرغة وأقام الإنسان في وسط المجمع نهار السبت، أي أقامه في المكان والزمان والشرع المقدّس، عاكسًا مجرى ما ألّفته الأديان، فحرّر يد الرجل

---

(٧) DUVERGER M.: *La dictature*, P.U.F., 1971, p. 50 ss.
أنظر الباب الثالث: الطاغية يرتدي عباءة الدين، في: الطاغية، لعبد الفتّاح إمام، منشورات عالم المعرفة، رقم ١٨٣، سنة ١٩٩٤.

الأشلّ، ممّا أثار الفرّيسيّين رجالَ الديانة، والهيرودوسيّين رجالَ السياسة، فراحوا يتآمرون كيف يهلكون المسيح المحرِّر (مر ٣/ ١-٦)»[٨]. يتلازم تأليه صاحبِ السلطة مع قدسيّة رأيه ونظامه، والقدسيّة نفسها تُسحب على العلاقات الاجتماعيّة، فيشيع الحديثُ عن غسل العار، عن إزالة الرجس، عن التطهير العرقيّ أو المذهبيّ، عن التطهير الجغرافيّ... وكلّها نماذج تطبيقيّة عن «حروب الآلهة» و«حروب المطلقات».

٣ - إدغام السلطة والحقيقة: تتّجه القراءة القدسيّة بمنطقها الخاصّ، نحو إطلاقيّة كلّ أمر absolutiser برفضها نسبته relativiser، فلا تميز لديها ممكن ما بين القيمة valeur ومعاييرها normes التي تجسمها تحت أشكال حقوق، وبنود، ورتب، ورموز أو ممارسات. فالإطلاقيّة تصيب القيمة ومعاييرها وتضفي عليها معًا، طابعًا قدسيًّا، يَحْجُرُ على القيمة - الروح في قمقم معيارها، فيقدّس الحرف، وفيه يحنّط الروح. يمهّد هذا المنطق الطريق للمتعصّبين[٩]، أهل البطانة والحاشية، شعراء البلاط، أن يتبرّعوا بذهنيّة متحجّرة cristallisée موصدة impénétrable، آحاديّة النظرة والتوجُّه monolithique، لإدغام السلطة والحقيقة. يصادر صاحب السلطة الحقيقة كما الحقوق، إيذانًا بفرض حقيقته هو على الناس، والتصدّق عليهم ببعض حقوقهم. وغالبًا ما يتّخذ أهواءه ومنافعه وأمزجته مقياسًا للحقيقة، فيحتكر قوّة الإكراه في المجتمع (الأجهزة الأمنيّة...) ويحاول التفرّد بقوّة الإقناع (وسائل الإعلام بشتّى أنواعها...)، تتملّكه عقدة إبراهيم[١٠] التي بها يندفع صاحب السلطة (الأب، الرئيس، الزعيم، الملك...) لإكراه

---

(٨) سمير الخوري: رسولية أصحاب حرّية أبناء الله، المؤتمر الثالث للتراث السرياني، منشورات مركز الدراسات والأبحاث الرعوية، أنطلياس، ١٩٩٦، ص ١٢٣. راجع أيضًا سمير الخوري: «الديموقراطيّة في الكنيسة ومراهب الروح»، مجلّة بيبليا، عدد ٣٣، سنة ١٩٩٥، ص ٦.

(٩) MUCCHIELLI R.: *Opinion et changement d'opinion*, Ed. Sociales, 1975, pp. 33-34.

(١٠) سمير الخوري: «عقدة إبراهيم وحقوق الطفل»، مجلّة الرعيّة، العدد ٢٥٤، ص ٦٤-٦٥، سنة ١٩٩١.

مرؤوسيه أو أولاده على تنفيذ مشروعه، بل وللتضحية بهم فعليًا أو رمزيًا للغرض نفسه. «كلام الملوك ملوك الكلام»، يقولون: «لا تفكّر أنت، فصاحب السلطة فكّر عنك». فإن خاطرتَ وفكّرت، فإمّا أن تصل إلى حقيقة قالها قبلك، وفي ذلك إضاعة للوقت، وإن بلغ تفكيرُك إلى حقيقة لا يشاطرك فيها صاحب السلطة فالويل لك، إنّك دخلتَ دائرة خطر قطع معاشك، أرزِك، رقبتِك... (في الأسرة، كما في المدرسة والشارع والدولة...). «فما بين المرؤوس والحقيقة، هناك وساطة واحدة، ممكنة، هي إطاعة صاحب السلطة وحسب»[١١].

٤ - التعامل مع السلطة: يبدو واضحًا أنّ علاقات السلطة في المجتمع تتّجه نحو أنموذج ارتباط الأمر بالطاعة. فلا بدّ من «الانصياع والاتّباع وترداد أقوال السلطة»[١٢] في البيت والمدرسة والمجتمع. لمداورة هذا الواقع الزاجر، أو للتعامل معه بأقلّ كلفة اجتماعيّة ممكنة، يتّجه الناسُ في الغالب إلى أحد المخارج التالية التي تُعرض لهم. إنّها، في الواقع، تجاريب[١٣] أكثر منها حلول لتغيير الواقع.

+ التبعيّة: يتطوّع المرء للاستزلام والاستسلام بمقتضى الواقعيّة السياسيّة. فيعيش تحت ظلّ أحدهم، «يعيش في ذمّته»، ينقاد للعناترة والزيران، يروّج لهم، باسم الشطارة والحربقة والحذاقة والحنكة، أنّه «يدبّر حالَه»، ولا يتوانى عن أن يتنكّر لهم وينكرهم متى تغيّرت الأحوال، كما بطرس قبل صياح الديك (يو ١٨/ ١٥-٢٧). رفض يسوع تجربة التبعيّة وأن يُعطى ممالك الأرض وغناها لقاء سجوده لأركون هذا العالم. رفض الواقعيّة السياسيّة باسم الشهادة للحقّ (متّى ٤/ ٨-١٠، لو ٣/ ٦-٨)...

---

(١١) DREWERMAN E.: *Les fonctionnaires de Dieu*, Ed. Albin Michel, 1993, pp. 379-382.

(١٢) KHOURY J., KHOURY S., AOUD M.: *Un Avenir qui germe*, Ed. C.R.D.P. 1983, pp. 169-176.

(١٣) ماري خوري: «رسوليّة الشباب في الألف الثالث»، مجلّة المنارة، عدد ١، دورة ٣٨، السنة ١٩٩٧، ص ٤٣-٤٤.

+ تجربة التقيّة: يدفع الرياء بصاحبه إلى أن «يحمي رأسه» وإلى أن «يلطي بظلّ المتعتر»، فيجاري ويهادن، ويعتمد سلوك المدّاحين، ويغدق على. صاحب السلطة النعوت الأسطوريّة والبطوليّة والإلهيّة، فلان بطل، نابغة، ملاك حارس، أسد... رفض يسوع التقيّة والرياء والكذب الملتحق بها، فأدانها باسم الصدق والصدقيّة، والحقيقة: «ليكن كلامكم نعم نعم أو لا لا. فليس الذي يقول يا ربّ يا ربّ يدخل ملكوت السماء، بل الذي يعمل بمشيئة الآب».
+ الانسحابيّة: تدفع الجبانة بصاحبها إلى التعامي عن الواقع والانسحاب منه (هجرة، نزوح، استقالة..) ومداورته رمزيًّا (لهو، لعب، تسالي..)، «يلملم أطرافه»، يجنح إلى عالم الخيال والسحر، والاتّكال على الغيب والقدر والمكتوب. يجبن تجاه الأحداث فيتهرّب منها[١٤] نحو ذكريات الماضي كتلميذَي عمّاوس المهرولَين إلى ماضيهما (لو ٢٤/١٣-٣٥). رفض يسوع الانسحابيّة لمّا رفض بأن يلقي بنفسه من قمّة الرسالة المسيحانيّة وينسحب إلى حضيض السهولة فلا تتعثّر بحجر رجله (متّى ٤/٦). ولمّا رفض اقتراح بطرس عليه أن يتلافى الصعود إلى أورشليم لئلّا يقبض عليه الزعماء (متّى ١٦/٢٣، يو ١٨/٣٧)، رفض الانسحاب من الشهادة للحقّ.
+ الحياديّة: الحياديّة نوع من الانسحابيّة التي ما يزال صاحبها يحمل ميلًا إلى الفرجة ولو عن بُعد. يستقيل الحياديّ من كلّ موضوع، «ينفض يديه ويغسلهما»، يتنصّل من كلّ أمر ويحتمي وراء قناع الاعتدال. «فخار يكسّر بعضه، حادث عن ضهري بسيطة..». تكفيه عنديّاته كالغنيّ - البخيل (لو ١٦/١٩-٣١)، إنّه غير معنيّ، غير مسؤول، «يا ربّ نفسي» يقول: رفض يسوع الحياديّة والاكتفاء بخبز الجسد، وأن يسخّر قدرته لتحويل الحجارة خبزًا يُشبع به جوعه، رفض الحياديّة التي طلع لهبها التلاميذ ليثنوه عن التضامن مع الجائعين، فأجزل لهؤلاء طعامَهم

---

(١٤) مجمع العقيدة والإيمان: الحرّيّة المسيحيّة والتحرّر، منشورات المركز الكاثوليكيّ للإعلام، ١٩٨٦، ص ٦.

بمعجزة حبّه لهم (متّى ١٤/١٢-٢١).

+ العدوانيّة: تدفع خيبة الأمل بصاحبها إلى العدوانيّة الشمشونيّة التدميريّة بهدف تحسين أوضاعه عنفًا. وما الإرهاب سوى عدوانيّة انتقاميّة أنانيّة ضيّقة، لا افترائيّة فيها. Rédemption. يلجأ المرء إلى عنف البطش يأسًا من إنسانيّة الإنسان، بعدما تعطّلت أدوات تغيير الواقع بالطرق الديموقراطيّة السلميّة. فيمارس العدوانيّة ضدّ الآخرين أفرادًا (قتل، اغتصاب...) أو مجتمعًا (تفجيرات، تخريب إرهاب، تدمير البيئة..) أو ضدّ الأنا (انتحار، مخدّرات، جنس..). رفض يسوع العدوانيّة، ودعا إلى: أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم.. مَن أخَذ بالسيف بالسيف يؤخذ، إصنعوا للغير ما ترغبون في أن يصنع الغير لكم..(متّى ٥/٤٤، ٧/١٢).

+ الالتزام: الالتزام المسيحيّ هو نقيض هذه التجارب الخمس مفردةً ومجتمعة.

١ - إنّه حبّ الآخرين عوض استعدائهم وإبادتهم.

٢ - إنّه الاهتمام بالآخرين والعناية بهم عوض التنصّل منهم.

٣ - إنّه الاقبال نحوهم والتضامن معهم عوض الانسحاب عنهم.

٤ - إنّه اعتناق قضايا الآخرين والنضال معهم عوض التبعيّة لظالميهم.

٥ - إنّه المجاهرة بالوثوق بالآخرين وبمغايرتهم عوض التزلّف لهم والتظاهر بودّهم.

تساؤلات محوريّة فاصلة

بالنظر إلى ما تقدّم أعلاه: أيّة روحانيّة يمكن أن تطلع بها شبكة القراءة القدسيّة هذه؟ إنّها تنضح بروح العبوديّة وروحانيّة قصور الإنسان تجاه إله صباؤوت أكبر، يتمدّد على كلّ من المستويات الدينيّة والمدنيّة تمدّدًا يقضي على مجرّد احتمال قيام روح البنوّة، وروحانيّة حرّيّة أبناء الله. هل يمكن أن يكون هذا «الله»، الذي كشفت صورتَه شبكةُ القراءة القدسيّة، أبا يسوع وأبانا حقًّا؟ أهذا هو الصنف من التلاميذ الذي يرتاح إليه يسوع، تلاميذ طيّعين إنصياعيّين ينفّذون آليًّا automates أوامر الله؟

أتكون هذه هي ملامح ملكوت الله الذي بشّر به يسوع، قائمًا على التواثق والبنوّة والمجّانيّة؟ أين تُراها تكون تلك البُشرى الجديدة المزعومة في كلّ هذا؟ أيّ امتحان أعدّه يسوع واعتمده لاختبار تلاميذ العهد الجديد، بالأمس في القارب عند بحيرة طبريّة، واليوم في الكنيسة ومؤسّساتها الرهبانيّة والرسوليّة في بحر العالم؟ أهو امتحان الطاعة والاتّكال على الله في كلّ أمر كالرضّع القاصرين؟ أم هو امتحان الالتزام، القائم على اختبار الثقة والمثابرة، كالأبناء البالغين الراشدين؟

٢ - ٢ - شبكة القراءة المسيحيّة

تعتمد شبكة القراءة المسيحيّة[١٥] منطق إنسان الإيمان الذي وعى مواعد عماده، وأدرك شرف دعوته إلى البنوّة للآب كما كشفه يسوع، فراح يجهد لتأوين Actualiser حقائق الإنجيل، ليحقّق في ذاته صورة الله، ويكون كاملًا (متّى ٥/٨)، ويجسّد في علاقاته مع الآخرين محبّة الله له ولهم، وشريعته في ذلك شرعة الجبل (متّى ٥/١-١٢). إنّها قراءة محورُها يسوع[١٦]. بمرجعيّة تتمّ مطالعة الأحداث والأفكار والأشياء، تشكّل أخلاقيّة المحبّة وأخلاقيّة الحرّيّة مفتاح الفهم فيها. إنّها مشبعة باللاهوت البيبليّ، قبل أيّ أمر آخر، فهي قراءة العهد الجديد.

تلخيص: تلخّص شبكة القراءة المسيحيّة رواية لوقا على النحو التالي: إستفقد الصيّادون فنون الصيد ليلًا ولم يصطادوا شيئًا. وفي الغداة طلب منهم يسوع إعادة الكرّة، والمثابرة، فأصابوا سمكًا كثيرًا. لم يعلّم يسوع الصيّادين أيّ تقنيّة لا يعرفونها، وهم اختصاصيّو البحر والصيد، لا بل إنّ ما يقترحه عليهم يدلّ على جهله بأبسط قواعد الصيد: فالصيد بالشباك يتمّ في العمق ليلًا كما فعل الصيّادون (بابتعادهم حوالى ثلاثين

---

(١٥) سمير الخوري: «إنموذجيّة التربية المسيحيّة»، مجلّة المنارة، عدد ٣، دورة ٣٧، السنة ١٩٩٦، ص ٢٦٢-٢٨٢.

(١٦) يوحنّا بولس الثاني: الإرشاد الرسولي رجاء جديد للبنان، منشورات المركز الكاثوليكي للإعلام، جلّ الديب، ١٩٩٧، ص ٢٨.

غلوة، أي ٣٠ × ١٨٨ مترًا = ستّة كيلومترات تقريبًا، أي في وسط البحيرة، وقطرها اثنا عشر كيلومترًا، يو ٦/١٩). أمّا صباحًا فالصيد الناجح يتمّ بالشباك أو بالصنارة أو القفص عن قرب، أو بالغَمْرَة في العمق. عكس ما اقترح يسوع (يبدو أنّ يسوع تعلّم من الصيّادين فنّ الصيد، إذ يُظهره يوحنّا واقفًا عند الشاطئ بعد القيامة، يطلب من التلاميذ إلقاء الشبكة، فيما قاربُهم عائم على بعد مايتي ذراع، أي ٢٠٠ × ٠,٤٧ مترًا = ٩٤ مترًا. يوحنّا ٢١/٨)، اعترض سمعان بقوله ليسوع: «يا معلّم تعبنا الليل كلّه وما أصبنا شيئًا» (٥/٥). وفي ذلك إشارة واضحة إلى إتقان الصيّادين فنون مهنتهم وإلى أنّ يسوع يجهلها:

+ يعرف الصيّادون أصول مهنتهم تمام المعرفة. لقد استعملوا التقنيّات المناسبة في المكان والزمان المناسبين، وفشلوا. فلا داعٍ لتكرار المحاولة، وخاصّةً تكرارها نهارًا.
+ يجهل يسوع أمور الصيد، ولا تقنيّة صيدٍ جديدة عنده يقترحها على الصيّادين، فلا مبرّر إذن لدعوته الصيّادين إلى المثابرة. لا يخلو جواب سمعان هنا من ملمح تهكّميّ: صحيح أنت معلّم يا يسوع، ولكن في غير شؤون مهنتنا...

كان من المتوقّع أن يبدّد يسوع ادّعاآت سمعان، وأن يفنّد له تلميحاته هذه. ولكنّه لم يفعل. ذاك أنّ تلميحات سمعان هي تأكيدات، وادّعاآته صحيحة. أدرك سمعان بأنّ ليسوع مقصدًا آخر يحمل إلى الصيّادين درسًا من نوع آخر، لا علاقة له بفنون صيد السمك، وأنّ يسوع صمّم على تلقينهم إيّاه بمناسبة هذا الصيد.

لقد سبق لسمعان أن شاهد معجزات يسوع في بيته (٤/٣٨)، وسمع تبشيره ورأى ازدحام الناس حوله (٥/١-٣)، لذا لبّى طلبَ يسوع بقوله: «ولكنّك قلت، فأنا ألقي الشبكة» (٥/٤). تقدّم سمعان بقاربه إلى العمق، معرّضًا بذلك نفسه للسخرية المهنيّة أمام العارفين بأصول صيد السمك، فتحاشى أن يصطحب معه أصحابه في القارب الآخر، لا ليتجنّب الهزء منه أو ليجنّبهم الفضيحة، بل لئلّا يُلزمهم بما استوثق به وبمَن وثق فيه.

والحال أنّ تجاوب سمعان مع مطلب يسوع، غير المعقول بمعاودة الصيد، يتطلّب ثقةً عظيمة، تلك التي باهتزازها تتصدّع العلاقة[١٧] وتنقطع مع الله ومع الناس. فالخطيئة تنطلق من عدم الثقة، بل إنّ عدم الثقة هو الخطيئة إيّاها، كما عرضها الكاتب الملهم في سقطة الأبوَين الأوّلَين (تك ٣/٦). ثابر الصيّادون نهارًا، ويسوع معهم في القارب، على أداء الأعمال الروتينيّة نفسها التي ثبت فشلُها بالأمس ليلًا. «إنّها مثابرة حمقاء بمنظور العالم، ولكنّها ثقة إيمان ورجاء حيّ بمنظور يسوع»[١٨]. أصاب الصيّادون سمكًا وفيرًا، فأشركوا رفاقهم في غبطة الصيد العجيب (٥/٧) كما في فرح الاختبار القيميّ الجديد (٥/١٠). فَهِمَ سمعان مرمى تعليم يسوع ومقصد امتحان التلاميذ به. إنّه تعليمٌ مغاير كليًّا لتعاليم العالم ولمنطق الديانة. إنّه لبّ منطق الإيمان. إعترف سمعان بالربّ وأقرّ بعدم أهليّته له: «إنّي رجل خاطئ» (٥/٨). كسر يسوع مقولة الأهليّة الحقوقيّة والاستحقاق الحسابيّ التجاريّ. فمحبّة الله مجّانيّة سخيّة هي، لذا قبل الصيّادين تلاميذَ له، وجعلهم صيّادي بشر (٥/١٠). وأقام سمعان - بطرس رئيسًا في الكنيسة لأنّه أحبُّ تلاميذه له (يو ٢١/١٥-٢٠، متّى ١٦/١٧-٢٠)، لا أحبُّهم إليه (يو ١٣/٢٣، يو ٢١/٢٠).

أ - تعليم يسوع: خمرة جديدة (متّى ٩/١٧)

ما الذي أراد يسوع أن يعلّمه الصيّادين ويختبرهم به ليتلمذهم للعهد الجديد؟ تشير شبكة القراءة المسيحيّة لرواية لوقا بأنّ يسوع هو معلّم ومربّ صيّاد، إنّه الربّ (٥/٨). إنّه خير بعالم القِيَم، بمضمون الإيمان، وبجوهر الإنسان. إختصاصه هو معنى الحياة، لا جودة الوجود، فهذه الأخيرة هي من اختصاص الإنسان. به يتعلّق أمرُ تنظيم المجتمع، وتدبير شؤونه وصنع تاريخه، والسيطرة على الطبيعة. وأنسنة العالم، وهي مهامّ أوكل الله إليه أمرَ إتمامها منذ البدء (تك ١/٢٦-٣١). فبحسب يسوع، لا

---

(١٧) ماري خوري: «سرّ مخاطرة الحرّيّة»، مجلّة بيبليا، العدد ٤٣، ١٩٩٧، ص ٦.

(١٨) KHOURY M., KHOURY S.: *La Religieuse au Liban: Identité et mission*, Ed. Assemblée des Supérieures Majeures au Liban, 1995, p. 7.

يزاحم الله الإنسانَ على أيّ من أمور الدنيا ومعارفها. فما حصر علوم الكون به، ولا فاخر بإيداعها الكتاب المقدّس، بل ترك للإنسان أمر النظر في الكون، وفكّ أسراره، والتشريع ليوميّات حياته. ليس الله شيئًا زائدًا مضافًا عمّا هو الإنسان، بحيث يكون الفارق بين الاثنين واضحًا ملحوظًا، كأن يفوق الله الإنسان علمًا وقدرةً وحكمة... فيما يبقى كلاهما في المصاف نفسه. بل الله مغاير كليًّا للإنسان وعنه، فعلم الله وقدرته وحكمته هي مغايرة تمامًا لعلم الإنسان وقدرته وحكمته. وحدها المحبّة دفعت الابن الكلمة ليصبح إنسانًا (يو ١/ ١٤)، فعرفنا أنّ به كان كلّ شيء (يو ١/ ٣) وأنّ بالمحبّة يصبح الإنسان ابنًا للآب بالتبنّي (يو ١/ ١٢). يمكن إفراد خمسة مبادئ جديدة يتضمّنها تعليم يسوع للصيّادين، هي مبادئ التنشئة الرسوليّة التي شاءها اختيارًا لكلّ مَن سوف يعتمد باسمه:

١ - مقاييس جديدة: القِيَم الإنجيليّة: غيّر يسوع المقاييس القديمة ووضع القيمة مقياسًا جديدًا. رفض أن يكون الفشل/ النجاح مقياسًا مسيحيًّا يصحّ تبنّيه للقيام بعمل ما، أو للاستمرار فيه أو لإيقافه. فوضع القيمة الدافعة إلى هذه العمل مقياسًا للإقدام عليه أو للإحجام عنه. رأى تلميذا عمّاوس في الصليب فشلًا، فخاب أملُهما. أعاد يسوع لهما الإيمان ما إن أفهمهما، بشبكة قراءة مسيحيّة، معنى الصليب (لو ٢٤/ ١٣-٣٥). ومثله، أقعد الفشلُ الصيّادين عن معاودة صيدهم بالرغم من قيمة دوافعه وغايته وصحّة أدائه عمليًّا. لفتهم يسوع إلى أنّ القيمة التي اندفعوا بموجبها إلى الصيد، هي هي مقياس استمرارهم فيه. غيّر لهم المقاييس وأحلّ القيمة الأدبيّة محلّ الفعاليّة المادّيّة. فأصابوا سمكًا كثيرًا.

٢ - مرجعيّة جديدة: أخلاقيّة المحبّة: غيّر يسوع المرجعيّة القديمة المحتكمة إلى القواميس والنواميس، فوضع نفسه مرجعيّة محبّةٍ خالصةٍ لتقويم الأعمال والأقوال: «مهما فعلتم مع إخوتي.. معي فعلتم. كنتُ عريانًا، جائعًا... فما أطعمتموني». لم يعد السبت والشريعة المقدّسة مرجعيّة تصلح للحكم على صحّة الأمور، بل أصبح يسوع نفسُه هو المرجعيّة المطلقة. فكلّ موقف من أعظم الأمور أو أتفهها، وكلّ وقفة

أمام الأشخاص والأشياء والأفكار، هي وقفةٌ أمام الصليب وموقف من المصلوب عليه، بدون المحبّة يبقى عمل المسيحيّين عملًا وثنيًا. بالمحبّة ومعها يصبح العمل عملًا مسيحيًا حتّى ولو قام به وثنيّون أو غير مؤمنين. أقام يسوع مع الصيّادين في القارب. وثقوا به وبكلمته وبمحبّته، فأصابوا سمكًا كثيرًا. وحده التفوّق بالمحبّة هو موضوع افتخار المسيحيّ أمام الله والناس.

٣ - ذهنيّة جديدة: الجسارة والأمانة: ليس الفشل مميتًا، بل المميت فيه هو الانهزام أمامه، إذ ذاك تتحوّل خيبة الأمل إلى قطع أمل، فتسقط الثقة، وتخبو الحياة. وهذا ما يناقض المقياس الجديد والمرجعيّة الجديدة وفق تعليم يسوع. سوف تحمل الأمانة اسمًا جديدًا هو الشهادة للحقّ.

٤ - منطق جديد: الالتزام: غيّر يسوع المنطق العتيق القائم على إيديولوجيّة الطاعة، فوضع الالتزام منطقًا جديدًا قوامُه حرّيّة الإنسان. «.. تستوجب الشريعة القديمة طاعة الإنسان، فتفرض عليه الانصياع لأوامر الله، كعبدٍ موظّف يقوم بما يمليه عليه واجبه الشرعيّ، وفق قوانين مؤسّسة الديانة. فكلّ رفض يديه بأخلاقيّة الشرع الدينيّ هو تزمّت بهذا الشرع، وتحزُّبٌ لله، وتجميدٌ للواقع في البدأويّات protologie بذهنيّة المحافظة المستكينة. أمّا القِيَم، فتستدعي التزام الإنسان، يعتنقها بحرّيّة، ويحرّيّة يجسّمها أعمالًا وأقوالًا وتشريعًا ومشاريعَ تجاه الآخرين. فكلّ رفض بأخلاقيّة المحبّة هو التزام أصدق بتجديد معايير القِيَم الإنجيليّة، وتواحد communion أعمق بيسوع مع الكنيسة، ودفع للواقع صوب النهيويّات eschatologie بروحيّة التطوير المفتح»[١٩]. بعرضه المثابرة في الصيد على الصيّادين، أثبت لهم يسوع قدرتهم على صحّة معرفة واقعهم، واعترف

---

(١٩) سمير الخوري: «المسيحيّة بين أخلاقيّة الناموس وأخلاقيّة المحبّة»، مجلّة بيبليا، عدد ٢٦، ١٩٩٤، ص ٧. راجع ماري خوري: «الأخلاق الإنجيليّة بمجهر علم النفس»، مجلّة بيبليا، عدد ٢٦، ١٩٩٤، ص ٤.

بطاقتهم على حسن تقويمه وإدارته، وبارك التزامهم المثابرة على أعمالٍ صحيحة، بدت لهم فاشلةً وغير فعّالة بادئ الأمر، فكان الصيد الوفير تتويجًا لالتزامهم القِيَم. بدون القِيَم يكون الالتزام مجرّد حراك agitation ونشاطويّة activisme. وبدون الالتزام تبقى القِيَم مجرّد تلاوة طوباويّة، وفي الحالتين يكون التلميذ إمّا موظّفًا حراكيًّا، أو حالمًا أثيريًّا.

٥ - مفهوم جديد: العناية الإلهاميّة: غيّر يسوع التصوُّر العتيق الذي، بقراءة قدسيّة، يُقحم الله في كلّ شاردة وواردة داخل السلسلة السببيّة السارية على الكون، فبرّأه من هذه التهمة، وأسقط عنه التشويه innocenter اللاحق به. «حرّر يسوع الله إيّاه من المسؤوليّة الحدثيّة» événementielle (يو ٩/٣، لو ١٣/١-٩)، فخصّه بالعناية الإلهاميّة Providence d'inspiration ونزع عنه عباءة العناية التدبيريّة Providence de gouvernement. إنّه يهبُ للمؤمنين روحه القدّوس وحسب (لو ١١/٣، يو ١٤/١٥-٢٧)[٢٠]. يحترم حرّيّة الإنسان، ويريده أن يبقى حرًّا، فيسعى إليه بحرّيّة. لا قَدَر لدى الله أبي يسوع، ولا مكتوب عنده، وإلّا لبطل أن يكون أبًا كما كشفه لنا يسوع في مَثَل أبي الابن المخاطر العائد (لو ١٥/ ١١-٣٢)، وكما أظهر لنا ذلك، الآبُ ذاته، ساعة صُلِبَ ابنُه يسوع: رفض الله الآب أن يستعرض جبروته بتعطيل أحداث صلب يسوع، لكي يتيح للإنسان أن يقف أمامه بحرّيّة دوتما خوف، وبذلك أفسح للإنسان أن يقف بحرّيّة مع الله، أو بدون الله أو ضدّ الله. فما بين تعاقب الأحداث التي لا معنى لها بذاتها (عدا أنّها حصيلة السلسلة السببيّة الجوفاء)، وما بين الله الذي هو ملء الحياة ومعنى الوجود، يتوسّط الإنسان الحرّ ليستمدّ من الله معنًى، يضفيه على الأحداث فيطالعها وفق شبكة القراءة المسيحيّة، ويستوحي العناية الإلهاميّة ليغيّر وجه الأرض (يو ١٦/١٢-١٥). «هناك ممارسة مسيحيّة لإدارة الشؤون الزمنيّة، لأنّ البشرى الإنجيليّة تنير جميع

---

(٢٠) ماري خوري: «أهروس طاهرة أم تبقى بغيًا عاهرة»، مجلّة بيبليا، عدد ٣٨، ١٩٩٦، ص ٥.

الشؤون البشريّة»[٢١].

ب - المثابرة: صمود أدبيّ ومقاومة روحيّة

«تقدّم إلى العباب، وألقوا شباككم للصيد» (٥/٤). يطلبه هذا إلى الصيّادين، عنى يسوع لهم أمورًا ثلاثة:

١ - إنّ عملكم قيّم، فهو صحيح سليم. فتقنيّات صيدكم، وأدواته، ودوافعكم وأهدافكم منه، هي نبيلة حسنة.

٢ - أنا معكم لأثبّت لكم سلامة قِيَم عملكم، ولأثبّتكم في خياراتكم، بل لأشاطركم معاناتكم.

٣ - ثابروا في عملكم، استمرّوا في التزامكم، لا تيأسوا حتّى ولو فشلتم. لا تنهزموا ولا تتراجعوا...

بادر سمعان واعترض، لا على مقصد يسوع الأوّل (سلامة الصيد)، أو الثاني (حضور يسوع معه في القارب)، بل على مقصده الثالث الداعي إلى المثابرة، أي على أن يرجو الصيّادون ما لا يُرجى وما لا رجاء منه في معاودة الصيد نهارًا (لو ١/٤٥، عبر ١١/-٣١) «وكأنّهم بالإيمان يرون ما لا يُرى» (عبر ١١/٢٧)، فيعبرون «ليل الإيمان» كما يقول الصوفيّون.

ليست المثابرة التي يرمي إليه يسوع عنادًا أخرقَ أو تشبّثًا أحمق، ولا هي «تقويم كلام» ... فهذه كلّها، تصحّ للبرهنة عن إراديّة عنتريّة volontarisme، أو مباهلة بلهاء ordalie لا قيمة لها ولا طائل منها. بل إنّ المثابرة المسيحيّة، هي ترقّب وصمود أدبيّ، وثبات، ومواظبة، وسهر، وصبر. إنّها الأمانة المبنيّة على الإيمان، إنّها وليدة الرجاء، مشبعة بالصلابة، حاملة الصبر، إنّها مؤشّر البطولة وعلامة الالتزام بالقِيَم. بها تنكشف المقاومة الروحيّة، وتنجلي الشهادة للحقّ، وتشعّ فضيلة القوّة، وتمتحن الصدقيّة، ويشرق السلام، فيبلغ المعمَّد المتمسِّك بمواعد عماده

---

(٢١) يوحنا بولس الثاني: الإرشاد الرسولي رجاء جديد للبنان، منشورات المركز الكاثوليكي للإعلام، جلّ الديب، ١٩٩٧، ص ١٧٧.

حدّ القداسة. وحدها المحبّة المسيحيّة تبرّر المثابرة بكلّ روافدها ومشتقّاتها من القِيَم الإنجيليّة المذكورة أعلاه، وهذا ما يفسّر كثرة ذكرها في نصوص العهد الجديد، ومنها:

«سيبغضكم الناس من أجل اسمي، والذي يصبر إلى المنتهى يخلص (متّى ١٠/ ٢٢).. سوف يضطهدكم الناس، ويسلمونكم إلى المحاكم والولاة ويسوقونكم أمام الملوك والحكّام، وهذا يؤول بكم إلى الشهادة... سيسلمكم والدوكم وإخوتُكم وأقرباؤكم وأصدقاؤكم إلى الحكّام... وبثباتكم تخلصون (لو ٢١/ ١٢/ ١٩)... الحَبُّ الواقع في التربة هم الذين يسمعون الكلمة ويحفظونها وبمثابرتهم يثمرون (لو ٨/ ١٥)... فللجاجتها ومثابرتها ينصفها القاضي (لو ١٨/ ١-٨)... إنّ أباكم هو الشيطان. إنّكم تريدون إشباع رغبات أبيكم الذي كان منذ البدء فما ثبت في الحقّ (يو ٨/ ٤٤)... وكانوا يواظبون كلّهم معًا على الصلاة وتواظب النساء معهم (أعمال ١/ ١٤)... وكانوا بالثبات على الإيمان (أعمال ١٤/ ٢٢).. يُجري الله حياة أبديّة للذين بالثبات على الأعمال الصالحة يبتغون عدم الفساد (روم ٢/ ٧)... مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني (متّى ١٦/ ٢٤)... مَن أراد أن ينجو بنفسه يفقدها، ومَن فقد نفسه في سبيلي وجدها... مَن لا يحمل صليبه ويتبعني فليس أهلًا لي (متّى ١٠/ ٣٨).

يطلب يسوع من تلاميذه في امتحان الصيد:

١ - المثابرة: تقوم المثابرة على ثلاث أساسيّة:

+ التحقّق من صحّة الخيار القيميّ بمرجعيّة يسوع.

+ الثبات في امتحان الزمن.

+ مقاومة التحدّيات والصعاب والاضطهادات الداخليّة والخارجيّة... لذا، تتطلّب المثابرة بطولة حياة يوميّة.

٢ - الثقة: تتطاول الثقة من الرابط الإنسانيّ بين صدقيّة شخصَين، لتطال مصاف الرجاء.

+ أبدى الصيّادون ثقةً بكلام يسوع: «لأنّك قلت، فأنا ألقي الشباك»

(٥/٥).

+ «ثقوا، أنا غلبتُ العالم». إنّ ما يطلبه يسوع من الصيّادين، وما يطلبه من كلّ إنسان هو جنون مطبق ومستحيل طوباويّ وفق منطق الفعاليّة والواقعيّة السياسيّة. أمّا وفق منطق الإيمان بقيامة يسوع، فكلام يسوع حقيقة كلُّه، والمستحيل الذي يدعو إليه هو القضيّة المسيحيّة، التي تدعو الكلّ إلى أن يكونوا كاملين كالآب السماويّ، وسيكونونه بالمحبّة.

+ الرجاء المسيحيّ هو فعل ثقة بيسوع، وقد اعتنق الواثق القيامة برهانًا إيمانيًّا، فراح يشعّ الأمل ويزرعه حوله. بعمله هذا، يثبت المعمّد باسم يسوع أنّه نبيُّ الرجاء، يحمله بفرح وبه ينير دروب الناس إلى الأنقى والأبقى.

٣- حمل الصليب؟ ليس الصليب الذي يدعو يسوع التلاميذ وذوي الإرادات الطيّبة إلى حمله عذابات وآلامًا وجروحًا ومساميرَ ودمًا... فهذه هي طرقيّات حمل الصليب العرضيّة لا الصليب ذاته. لا يشيد يسوع بالعذاب أو بالفقر.. بل إنّه يذوب حنانًا ومحبّةً للمعذّبين وللفقراء، ويدعو إلى تخفيف أوجاع الناس وإلى مكافحة الفقر. إنّه العريس الموعود الذي يدعو كلّ الناس إلى وليمة الفرح. أمّا الصليب الذي يدعو يسوع إلى حمله فقوامه ثلاث:

+ خيار الإنسان الحرّ القِيَم الإنجيليّة بصدق وبعمق.

+ إعتناق هذه القِيَم وحملها إلى الآخرين قضيّةً سامية تقدِّم لهم معنى الوجود.

+ المثابرة على الالتزام بهذه القِيَم وعيشها بأمانة حتّى النهاية.

لمثابرة المعمّد باسم يسوع في الالتزام بالقِيَم الإنجيليّة، يقتضي منه إبداء مقاومة روحيّة على جبهتين:

- الجبهة الداخليّة: المتمثّلة بأنانيّة الأنا الشخصيّة ونوازعها وامتلاكيّاتها ومطامعها وحاجاتها... فإمّا أن تتوثّن الأنا بمعبوداتها، وإمّا أن تتمسحن بحبّ الآب بحرّيّة.

- الجبهة الخارجيّة: تلك القريبة أو البعيدة، الفرديّة أو الجماعيّة، المتمثّلة بطغيان السلطة والمال والوجاهة والشهوانيّات المتعدّدة الأشكال والأنواع، المتشرنقة كلّها صوب الإفناء الاستهلاكيّ: فإمّا أن يتوحّش المجتمع بجشعه، وإمّا أن يتأنسن بالقِيَم بسلام.

يصطدم المعمَّد بعوائق كلّ من هاتين الجبهتين المدججة بالجلاّدين الذين لا يتوانون عن مطاردة الدعوة الإنجيليّة في صراع محموم، هدفُه القضاء على قِيَم تطويبات شرعة الجبل (متّى ٥/١-١٢)، أو أقلّه السعي إلى تدجينها وترويض حامليها إن أمكن: بهذا الاضطهاد، تتحوّل المثابرة شهادةً للقائم من الموت ولقِيَم إنجيله، تمسُّكًا بالحرّيّة المسيحيّة الكيانيّة المرادفة لهذه القِيَم، ورغبةً مخلصة في تحرير الجلاّدين أنفسهم من خناق تنكيلاتهم.

مثابرة المسيحيّ هذه، هي هي صليبه، هي حرّيّته وتحرّر العالم بالمسيح المحرِّر. لذلك لا يصحّ القول في المسيحيّ إنّه يتحمّل الصليب كالعبد المغلوب على أمره في عبءٍ أُكرِه عليه، بل يحمل المسيحي صليبه ويتبع يسوع، لأنّه إنسان حرّ، اختار والتزم وثابر بحرّيّة على «الشهادة للحقّ». وحده حَمْل هذا الصليب هو المرقاة إلى الآب. أمّا تحمّل العذابات بدون قِيَم، فهو تجبّر ساديّ ليس له قيمة خلاصيّة.

ج - وقع القراءة المسيحيّة على المستوى الدينيّ: منطق الإيمان

يسهل إدراك وقع القراءة المسيحيّة لرواية لوقا على المستوى الدينيّ، عبر صور أربع زرع يسوع حبوب خردلها الأولى (متّى ١٣/٣١-٣٢) في امتحان الصيّادين، وسوف يكشف كامل معناها في الإنجيل، فيما بعد ذلك:

١ - صورة الله: كشف لنا يسوع الله أبًا رحومًا حنونًا طيّبًا، يذوب حنانًا لاستقبال ابنه المخاطر العائد إليه (لو ١٥/١١-٣٢). إنّه المحبّة، إنّه مشغول فقط بأن يُحِبّ، فلا راحة لدفق حنانه ولا استراحة لمحبّته (يو ٥/ ١٧)، ولا وقتَ لديه لغير المحبّة، فلا ومضة وقت عنده يمضيها في إجراء

جردة حسابات أو في مراجعة ميزانيّة حبّه أو في المعاتبة والمحاسبة.

٢ - صورة الإنسان: بتعامله مع الصيّادين، أثبت يسوع احترامه كرامة الإنسان. فالإنسان حرّ، راشد، يحسن النظر في شؤون حياته وإدارة عالمه وصنع التاريخ. إنّه موضوع حبّ الله اللامتناهي الذي يدعوه إلى شرف البنوّة له بابنه يسوع.

٣ - صورة العلاقة مع الله: علاقة الإنسان مع الله هي علاقة حرّيّة والتزام ومثابرة بإلهام الروح على الشهادة للقِيَم. لم يذكر الإنجيليّون مرّة أنّ يسوع أشاد بالطاعة أو طالب أحدًا بها.

٤ - أنموذجيّة التعامل: رفض يسوع صورة الله إلهَ غيب، فجعله إلهَ الحضور الأبويّ. إنّه الأب. ورفض صورة الإنسان العبد، فدعاه إلى فرح البنوّة بالتبنّي. لذا، فرأس الحكمة في المسيحيّة هي محبّة الله وحسب. يصلّي المسيحيّ لأنّ الله الآب يحبّه، وقد وهب له الروح القدس، لذلك فصلاته هي فعل شكر دائم، ولا يصلّي لكي يرضى الله عنه علّه يحبّه... لم يعد الله موضوع حاجة الإنسان المسيحيّ، بل أصبح موضوع توقه، وموضوع محبّة مجّانيّة تحاول محاكاة محبّة الله للإنسان: «اطلبوا أوّلًا ملكوت الله والباقي يُزاد لكم».

د - إمتداد القراءة المسيحيّة على الحياة الاجتماعيّة: منطق الحرّيّة

تتطلّب المثابرة التي امتحن يسوعُ الصيّادين بها، فعلّمهم جوهر مقصده منها، بطولةً يوميّة، عنها ينفرج الاندفاع الرسوليّ ببعدَيه العمليّين: الجرأة النبويّة، والعماد بالقِيَم.

١ - بطولة حياة: «ترك الصيّادون كلّ شيء وتبعوا يسوع» (٥/ ١١)، وهذا يعني أنّهم اتّخذوا وجهة البطولة المبرّصَلة صوب يسوع، «قبلة» التحرّر والحرّيّة[٢٢]. ذاك أنّ القاسم المشترك لكلّ أنواع الخيانات

(٢٢) مجمع العقيدة والإيمان: الحرّيّة المسيحيّة والتحرّر، منشورات المركز الكاثوليكيّ للإعلام، ١٩٨٦، ص ٤١-٤٥.

والجبانات ومشتقّاتها (المنزليّة، المجتمعيّة، الكنسيّة، الدينيّة، الوطنيّة...) ينحصر في حبّ البقاء المرتكز إلى ثلاث:

+ الأنانيّة والتشرنق حول الأنا.
+ الامتلاكيّة والتحصّن ضدّ قلق الوجود.
+ المقنى تحت كلّ أشكاله (مال، سلطة وجاهة، سلاح، سمعة، مقام..).

يشكّل حبّ البقاء بمرتكزاته الثلاثة هذه، قاعدة المسيحانيّة الأرضية Messianisme terrestre التي رفض يسوع منطقها وأصولها وغايتها.. فملكوت يسوع ليس من هذا العالم، ولا أدواته أدوات العالم.

أمّا الجامع المشترك لكلّ أنماط البطولات فيقوم على معنى الوجود، المبنيّ بدوره على ثلاث:

+ الغيريّة والسخاء بالذات حبًّا للآخر المغاير.
+ القِيَم، وخاصّةً الحرّيّة. الساعية بالحبّ، بأدوات السلام.
+ الكينونة، حاملة كرامة الكائن البشريّ.

تشكّل هذه البطولة بمرتكزاتها الثلاثة مبدأ المسيحانيّة النبويّة الإنجيليّة الساعية إلى تأوين ملكوت الله الآن وهنا على هذه الأرض كاستباق في الزمن المنظور، المحسوس والملموس، لما سوف تكونه بالروح مع الله في الابن في ما بعد الزمان. من أجل هذا ترك الصيّادون كلّ شيء وتبعوا يسوع. فالنجاح بحسب منطق العالم يقضي بأن يمتلك الإنسان المزيد، فيكون أكثر غنًى... أمّا بحسب منطق يسوع، فالبطولة تعني أن يكون الإنسان أكثر، فيصير أكثر كمالًا كما الآب الذي في السماء.

٢ - الاندفاع الرسوليّ

+ الجرأة النبويّة: دعا يسوع الصيّادين وجعل منهم صيّادي بشر من أجل بناء ملكوته. ولكنّه لم يعطِ تلاميذه ولو واحدة من أدوات النجاح، وفق منطق العالم: فما أعطاهم فلسفة اليونان ولا جبروت الرومان، ولا

سمح لهم برياء الفرّيسيّين أو بترمّت الكتبة أو بانحلاليّة الصدوقيّين، ولا أباح لهم انسحابيّة الحسانيّين، أو حياديّة المتفرّجين، أو عدوانيّة الغلاة أو باطنيّة الهيرودوسيّين، ولا أذن لهم بغنى الأثرياء، أو تبعيّة المستعطين... بل أعطاهم روحه الذي «يصرخ فيهم أبا أيّها الآب»، يلدهم للملكوت (يو ٣/٣)، يسكن فيهم (لو ١١/١٣)، ينطق فيهم ساعة الاضطهادات (متّى ١٠/١٧)، يعلّمهم كلّ شيء ويذكّرهم بكلمة يسوع (يو ١٤/٢٦)، ويرشدهم إلى الحقّ كلّه (يو ١٦/١٥). بهذا الروح يغيّر المعمّدون وجه العالم بجرأة نبويّة.

+ العماد بالقِيَم: على عكس مؤسّسي الديانات ومُصلحيها، لم يكن يسوع مشترعًا، لا في أصول العبادات ولا في أحكام المعاملات. وبخلاف صورة المشترع القاضي والمحاسبجي التي بها صوّر الكاتب الملهم الله في العهد العتيق، لم يشأ يسوع أن يسنّ القوانين، فيأمر أو ينهى بموجبها، بل وثق بتلاميذه، واعتبرهم راشدين فمسألهم Responsabiliser واستودعهم ذاته عطيّة محبّة خالصة، وأعطاهم روحه، يستلهمونه[٢٣] فيؤوّنون المحبّة في يوميّات حياتهم تحت شكل شرائع وقوانين ومؤسّسات ومشاريع... يبتدعونها ولا يلبثون أن يغيّروها ويجدّدوها، فيخترعون أفضل منها ويتبارون في إبداع أسباب للحبّ وللرجاء جديدة. يزفّون البشرى للناس ويعمّدونهم بالقِيَم، مقدّمةً لتعميدهم بالماء إن رغبوا.

«أشار الصيّادون إلى أصدقائهم في القارب الآخر ليأتوا ويسعفوهم، فأتوا وملأوا القاربَين معًا» (٥/٧). إنّها الدعوة إلى المسكونيّة وقوامها المشاركة Collégialité والتراحد Communion والالتزام التضامنيّ، اتّخذ الصيّادون أنفسهم البادرة فيها، بحضرة يسوع. سار القاربان سنودسًا رسوليًّا، أي اعتمدا السير معًا، والسير بسرعة واحدة وباتّجاه واحد لغاية

---

(٢٣) «لا ترتبط الكنيسة بأيّ نظام (...) لأن ليس عندها حلول تقنيّة ولا برامج اقتصاديّة وسياسيّة، ولا تبدي إيثارًا لهذه أو تلك، شرطَ أن تظلّ كرامة الإنسان محترمة (...) أمّا أعضاؤها فيشاركون في بعدها الزمنيّ». يوحنّا بولس الثاني: رجاء جديد للبنان، ص ١٧٥-١٧٦.

واحدة. سارا باتّجاه واحد لا في صفّ واحد أو في قارب واحد. وفي ذلك إشارة إلى الحقّ بالمغايرة، ورفض المقولة الانصهاريّة الذوبانيّة أو الاندماجيّة. بل إنّها الدعوة إلى اعتراف بقيمة المغايرة، والسعي إلى تحقيق الذات معًا بالتساوي للجميع على المستوى السياسيّ كما على كلّ من المستويات الاجتماعيّة La co-réalisation de soi.

فالكنائس جميعها هي كنائس شقيقة متساوية في الكرامة والرسوليّة، فلا مفاضلة بينها ولا تبعيّة فيها، والمبدأ نفسه يتدرج داخل الكنيسة الواحدة تسلسلًا حتّى أبسط مؤسّساتها المحلّيّة، بمَن تضمّهم من معمّدين علمانيّين وإكليريكيّين. كما يسحب على المستوى المدنيّ ليشمل كلّ المواطنين. فالكلّ إخوة متساوون، يتشاركون معًا بحرّيّة وسلام، أو هكذا يجب أن يكونوا.

٣ - الرسوليّة في الألف الثالث في الشرق

«لقد حرّر يسوع الناس من وضعيّة الخبث البنيويّ الذي يُكرههم عليها الإدغام بين الدين والدولة حيث يتطابق أتباع شرع الديانة مع إنفاذ شرائع الدولة»[٢٤]. وحّد بين الإيمان والحياة، وفصل بين الدين والدولة. فالوحدة الأولى حياتيّة والفصل الثاني مؤسّسي. وهكذا حرّر يسوع الله والإنسان معًا. فمهد للمؤمنين حقائق الإنجيل الإيمانيّة وقيمه، وأباح لهم تجسيمها بشكل قوانين ونظم وليتورجيّات، بعدما أكمل الروح لهم فهمها وما يزال (يو ١٢/١٦)، من أجل بنيان الكنيسة وتحرير العالم، إذ يشركون الجميع في صناعة إبداع هذه التجسيمات وفق شبكة القراءة المسيحيّة.

بفضل التنشئة الرسوليّة هذه، يتحوّل المعمّدون، كما سمعان ورفاقه، في بحيرة طبريّة، من صيّادي سمك إلى تلاميذ رسل، وكما المجدليّة في صباح ذاك الأحد، يتحوّلون من موظّفي تحنيط إلى حَمَلة

---

(٢٤) سمير الخوري: «الأنبياء ودعوة المستحيل»، مجلّة بيبليا، عدد ٣٥، ١٩٩٥، ص ٧.

رسالة، ومن حرّاس قبر فارغ، إلى شهود قيامة، ويندفعون بجرأة نبويّة، في الشرق، نحو توحيد قميص كنيسة أنطاكية في شركة مسكونيّة تتواحد بالإيمان[٢٥]، ويصالحون بالقِيَم الإنجيليّة شعوب الشرق أحفاد إبراهيم، ويثابرون، حتّى تتعانق النخلة والكرمة والزيتون في الألف الثالث بحرّيّة وبسلام.

---

(٢٥) مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك: الحضور المسيحيّ في الشرق بشهادة ورسالة، يكركي، فصح ١٩٩٢، ص ٩.
- راجع أيضًا مبحث «الوحدة في التنوّع»، في يوحنّا بولس الثاني: رجاء جديد للبنان، ص ١٢-١٥ و٣٣-٣٤ و٦٩.

من منشورات دار المشرق